قراءة في التجربة النقدية
عند
منصور الحازمي

د. عبدالله بن سالم المعطاني
الاستاذ المشارك بقسم اللغة العربية
بكلية الآداب والعلوم الانسانية
بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة

قراءة في التجربة النقدية
عند
منصور الحازمي

أن يتحدث المرء عن شاعر ملهم أو كاتب مميز أو ناقد مبدع فهذا طريق يرتاده الباحثون في اطروحاتهم وكتبهم ومقالاتهم ولكن الذى يعصف بالباحث في دوائر مغلقة قد تؤدى بارائه الى شئ من التشويش والارتباك حينما يتحدث عن شخصية تحفل جهودها بكل هذه المشارب والمسارب مثل شخصية منصور بن ابراهيم الحازمي الذى جمع أطراف هذه الفنون فصدح بالقصائد الشجية وكتب المقالات الصارخة وساجل القضايا النقدية اغتذاء واهتداء . ولذلك فسوف أكون فى مندوحة من الأمر لكسر الاحتواء الذى سيجعل من هذه المقالة اشادة أو اطراء بقدر ما هى مراودة علمية جوهرها المنهجية وكيانها الوعى والادراك المعرفي .

ومما يزيد الأمر صخبا واعتصارا أن الحازمى عايش اللحظات التشكيلية الأولى للوعى الأكاديمي لأدب وثقافة هذا الوطن مما جعله وليدا شرعيا لهذه الخطابات والاتجاهات .

ولا أظن أن المساحة تتسع للالفاظ الرنانة والعبارات المفخمة التى تؤكد أن الحازمي اديب مرموق وشاعر رقيق وباحث اكاديمي جاد فمثل هذه الكلمات تضيق بها الدراسات الحديثة الصارمة التى تحفل بآثار العالم أو الأديب اكثر بكثير من الاحتفال بحياته الخاصة ما لم يكن لهذه الحياة حضور متميز يكشف ادغال وتشابكات هذه الآثار.

وفي اطار هذا التوجه سوف نتناول أهم الآراء والقضايا التى طرحها منصور الحازمي في ثنايا دراساته وكتبه وأبحاثه والتى تمثل حضورا فاعلا لدى القراء والمثقفين .

لقد باشر الحازمي حياته العلمية–بالبحث في حقل الفن القصصي والروائي منذ أول شرارة انطلق فيها للبحث والتحصيل وهى اطروحة الدكتوراه من جامعة لندن .

ويبدو أن للقصة اثرا ملموسا في حياة الحازمى مما جعله يهتم بالصور الوصفية والسير الشعبية والروايات التاريخية ويبحث فيها عند واقعة الذى يستمده من هذا التشكيل السردى الجدلى لربط الحاضر بالماضى وطغيان عناصر الحياة اليومية كما يقول عنه صديقه الدكتور أحمد كمال زكى: " فاذا اهتماماته تنصب على الكون القصصى أو على التشكيلات الحكائية التى يحرص فيها على تأكيد صلة الانسان بالانسان وصلة الانسان بالكون ". (١)

فبعد أن فرغ الدكتور الحازمى من تقديم اطروحة الدكتوراه ((الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث)).(٢) والتى كانت باللغة الانجليزية ألف كتابا عن الروائى المصرى محمد فريد أبو حديد الذى كان له دور بارز في المستوى الفنى

للرواية الحديثة فتناول روايات ابى حديد من حيث البناء القصصى وتصوير الشخصيات والخصائص الفنية لثلاث روايات هى " ابنة المملوك " و " زنوبيا " و " انا الشعب".(٣) فكان منهج الحازمي في هذا الكتاب منهجا اكاديميا صارما بين فيه وضع الأدب القصصي قبل محمد فريد ابى حديد ثم حدد الاتجاه والمضمون فى انتاجه الفنى مبينا المراحل التاريخية والحالات النفسية التى استجابت لها شخصية أبى حديد فانعكست على رواياته المستمدة من الموروث التاريخى أو الحضور الواقعى المعاصر. واستطاع الدكتور الحازمى فى هذا المؤلف أن يربط الأحداث ويكون الحقائق التى ترتبط بالمسار الفكرى والحضارى لتاريخ الرواية العربية من خلال حضورها في روايات أبى حديد ففى حديثه عن البناء القصصى في رواية "زنوبيا" يحتفى بسلطان التأثر والتأثير بين الآداب العالمية الذى يظل ماثلا من خلال ادراج الآخر فى الذات.(٤) ويحاكم الدكتور الحازمى روايات محمد فريد أبى حديد بمنهج متزن وقلم هادئ يزور عن المدح الجارح والذم الخاطل يقول عن رواية " ابنة المملوك " : ((ونحن هنا لن

نعطى هذه الرواية اكثر مما تستحق ولكننا سننظر فيها – كما اسلفنا – وفى اذهاننا صورة واضحة عن تلك التجارب القصصية التى سبقتها ، وعن ذلك العصر الأدبى الذى انتجها)) .(٥)

ويفسر الحازمى محاولة محمد فريد ابى حديد استغلال التاريخ – والتاريخ المصرى بصفة خاصة – بأنه تصوير للشعور الوطنى وتأكيد للشخصية المصرية(٦) في الوقت الذى كان الشعب المصرى بحاجة الى مثل هذه الروح فى نضاله وجهاده ضد الفرنسيين فجعل " ابنة المملوك " رمزا للنضال الوطنى وشعارا للكفاح المصرى . مشيرا الى محاولات أخرى سبقت ابا حديد فى مثل هذا المجال مثل شوقى فى "عذراء الهند أو تمدن الفراعنة " و " لادياس " وروردل وتيمان " وتجارب اخرى فى الرواية التاريخية عند محمد حسين هيكل وغيره. ويؤكد الحازمى على أن ثقافة محمد فريد ابى حديد التاريخية منذ تكوينه الأول واطلاعه على تاريخ مصر بصفة خاصة اتاح له ميدانا واسعا ومساحة كبيرة من

الركام المعرفى الذى حمله الماضى بزخمه العريق وصحائفه المجيدة ليبثه فى عروق الحاضر الماثل أمام عينيه ولكن على الرغم من هذه النزعة التاريخية التى حملها ابوحديد في بداية حياته التأليفية الا انها تحولت الى نظرة اكثر واعظم شأنا وهى " حقيقة النفس الانسانية " (٧) على حد قول الحازمى فاولى النزعات والعواطف الانسانية والطبائع البشرية اهتماما خاصا " جعلته ينجذب الى الأقاصيص الشعبية القديمة ويعتبرها من اثمن ما خلفته الأجيال وراءها لأنها تراث الانسانية الأكبر".(٨)

ويحلل الحازمى شخصية ابى حديد الفنية من خلال هذه التحولات المرحلية في حياته الفكرية وارتباطها بالاحداث والمتغيرات " التى كانت تمر بها مصر والبلاد العربيه فى ذلك الوقت " .(٩) وتتجلى قدرة الحازمى النقدية فى تحليله لشخصيات رواية " انا الشعب" مقارنا بينها وبين رواية " ابنة المملوك " ومشيرا الى ان العنوان قد يخدع القارئ فيظن أنها رواية واقعية تختلف عن اسلوب ابى حديد الرومانسى

الأنسانى الذى تجسد في رواياتـــــــه السابقة يقول الحازمى : " والحقيقة أن ابا حديد قد اقـترب مـن مجتمعـه واوقعـه اقترابـا زمنيا فقط ولكنه لا يزال نفسيا وعاطفيا ... ابعد ما يكون عـن المجتمع والواقع " (١٠) ويعلل الحازمى ذلك البعد بأن ابا حديد يستغل ابطاله فيستخدمهم ادوات لبث مشاكله والآمه بطابع فيـه تشاؤم وحـزن يسيطر علـى نفسيات الأبطـال وأفكـارهم (١١) ويعتمد منصور الحازمى فى هذا الرأى علـى مقولتين أحدهمـا لعزالدين اسماعيل والأخرى لعبدالقادر القط . ولكن في الواقـع ليس فـي هـاتين المقـالتين مـا يشـير الـى انفصـال روايـة " انـا الشعب " عن واقعهـا ، لا سيما وأن الحـازمي يؤكـد علـى أن هذه الرواية تتعرض لكثير من الجوانب الاجتماعية فـي مصـر قبيل ١٩٥٢ " مـن الوسـاطة فـى الوظـائف الحكوميـة ، اثريـاء الحرب ، انحراف الصحافة وتفاهتها ، الرشوة فى الانتخابات ، انتشـار المخـدرات ، الفسـاد فـى دوائـر البوليـس والمحـاكم والسجون . " (١٢)

ويمضى الحازمى فى تحليل العناصر الجديدة التى ادخلها ابوحديد في رواية " انا الشعب " مبينا ان اهمها كثرة الشخصيات وتنوعها معللا ذلك بأن طبيعة الرواية تتطلب مثل هذا التنوع لأن " طابع التجدد والتوسع يغلب عليها لا في جانبها الوصفى فحسب بل كذلك فى جانبها التشخيصى أو التحليلي . " (١٣)

وقبل أن نغادر محمد فريد ابا حديد ساورنى شعور خفي يفسر انشغال الحازمى بأبى حديد يتمخص عنه هذا السؤال : هل يا ترى هناك تشابه في حياة كل منهما ؟ فكلاهما ابن لعائلة متوسطة الحال واحبا البيئة الشعبية وعاشاها وابوحديد يقول ان جده ينتمى الى الحجاز ولذلك جعل بطل روايته الأولى " ابنة المملوك " حجازيا هاجر الى مصر أيام محمد علي باشا ومنصور الحازمى حجازى الأصل والمنزع والمنشأ.(١٤)

وبعد عشر سنوات تقريبا من تأليف كتابه محمد فريد ابوحديد اخرج كتاب " فن القصة في الأدب السعودي الحديث " ليخوض به موضوعا بكرا يستحق البحث والدراسة كما اشار الحُازمى في مقدمة الكتاب (١٥) وهو عبارة عن ابحاث كتبها عن القصة في المملكة العربية السعودية في مدة متفرقة من سنى عمره العلمى ولذلك ظهر عليها تفاوت فى المستوى واختلاف فى الرؤية تجاه الأبعاد الحاضنة للبناء الفنى للقصة السعودية وان كان يغلب على الكتاب المنهج التاريخى الرصدى الا انه يطفح بطاقات كامنة من الرؤى التى تعتمل فى صميم العلاقات التأسيسية المباشرة لفن القصة ورسم طرائق تشكيل بنائها .

ولكن يجب أن نشير في هذا الصدد الى أن الفصل الأول من الكتاب مقطع نشاز ونتوء غريب على النظام الداخلى لتصنيف البحث فحينما تحدث عن المؤثرات الخارجية والقضايا النقدية والبحث عن كيان احاطها بمسار المنظور العام للواقع الأدبى فتحدث عن فترة تكوين الأدب السعودى

والمحاولات الأولى لمرحلة النضج والابتكار ووقف عند تأثير الآداب الأخرى فى روادنا وانتهى الى القضايا النقدية المسيطرة على المناخ الأدبى في ذلك الوقت وهو بذلك قد تمرد على موضوع البحث معلنا الخروج على مسار التوجه المنهجى لخصوصية هذه الدراسة(١٦). ولعلنا نجد مدخلا حيا لحضور الوجود المدرك لأهمية عمق النظرة فى تحديد المكونات التأسيسية للتجربة الأدبية عند الرواد السعوديين فعلى سبيل المثال يعمق الحازمى أهمية المؤثرات الخارجية فى أدب الرعيل الأول ليخلص الى حيوية هذا الأدب ونضوجه يقول في هذا الصدد : "ولا غرو اذن أن يتأثر جيل الرواد من أدبائنا السعوديين بذلك البريق الذى كان ينبعث من البيئات العربية المجاورة ، وأن يحاولوا أن يقتبسوا منه ما يفيد بلادهم فى مجالي الحياة والأدب ... فان العواد فيما يبدو كان يطمح الى أن يحدث كتابه " خواطر مصرحه " ضجة وأن يثير معارك لا تقل عن تلك التى احدثها " الديوان " أو " الغربال " ولعل الكاتب أراد أيضا أن يكون مؤلفه نقطة تحول في تاريخ

الأدب السعودى الحديث، وربما الأمر كذلك فى نظر العواد ونظر الكثيرين من تلاميذه والمعجبين به .

ومن الجدير بالذكر أن التأثير المجهرى لم يختف من الأدب السعودى طوال فترة ما بين الحربين .... وقد جمع أحمد السباعى بين رومانسية جبران وسخرية المازنى والبشرى وطه حسين .... وكان هناك تيار آخر – تيار غربى وصل اليهم عن طريق الترجمة .... وقد عرفوا شكسبير وورذروث وبيرون وشيلى وهازلت .... كما عرفوا موباسان ودستوفسكى).(١٧)

وفى تناول الحازمى لتجربة المرحوم الاستاذ حامد دمنهورى يطرح رؤية نقدية تحليلية كاشفة تتناغم مع الطاقات الجمالية لمعالم النصوص فيستشعر القيمة الفنية للحوار الداخلى الذى يجريه الكاتب على ألسنة شخوص القصة وازاحة الستار عن ايماءاتها واحداثها وارتباطها بالبيئة مشيرا الى ابداع الكاتب فى رسم ملامح الشخصية وتطورات الأحداث

التـى تقـوم علـى تداعـى الأفكـار واجـراء الصـراع مـن الداخل.(١٨)

ويلح الدكتور الحازمى على أهمية الثقافة التى يتشكل بها الكاتب لتكوين نسيج معرفى خاص يسمح له بممارسة الحضور والتأثير يقول عن حامد دمنهورى: " وقوة الاسلوب الذى نلمسه في الرواية بصورة عامة يبدو أنه نابع من ثقافة الكاتب ، وتمكنه من اللغة واساليبها ، بل ان انطلاق اسلوبه وسلاسته يجعلنا نحس براحة المؤلف فى كتابة قصته وعدم تكلفه فيها ، وهى قدرة تعتمد على أدوات الصنعة اعتمادها على الموهبة والمران ".(١٩)

وأرى هنا ضرورة الالماح الى أن تمكن الحازمى من الاطلاع على الآداب العربية والعالمية فتح المجال امامه للمقارنات وتلون الرؤى فتيسر له النفاذ الى دواخل التجارب الابداعية والحديث عنها بوعى عميق فعلى سبيل المثال حينما تحدث عن رواية " ثمن التضحية " وقف عند الكثافة الشعرية

مبينا أنها تكون اكثر وجودا عند الشعراء الذين تحولوا الى كُتاب قصة امثال جورج ميردث " George Meredith"، وتوماس هاردى " Thomas Hardy " ويوازن بين هذه الرواية وبين رواية "زينب" لهيكل من حيث البناء الفنى والتداخلات السياقية والمكونات الداخلية والخارجية (٢٠) لأنه يؤمن بتلاقح الآداب وانفتاحها ويدعو الى الغاء الحدود والتخوم التى تحول دون الادراك الواعى لما يرتاده النص الأدبى شعرا كان أو نثرا من آفاق تمثيلية رحبة تنحسر امامها النظرات الأقليمية الضيقة يقول : " فالأدب الجيد لا وطن له . فنحن نهتز لروائع الآداب الأجنبية اهتزازنا لروائع أدبنا القومى ، واعجابنا بشكسبير وديكنز وجويس ، مثلا ، لا يقل عن اعجابنا بالمتنبى والجاحظ ونجيب محفوظ، الا أن يحول بيننا وبين الاعجاب بهذه الآثار الأجنبية ، بعض الحواجز الطارئة ، كصعوبة اللغة و اختلاف الذوق أو تباين التفكير أو التعصب.(٢١)

وكذلك الحال في كثير من معالجاته التى تأتى كنتيجة لبيعية لثقافة الحازمى الواسعة واطلاعه الممتد فى الدراسات

الأدبية والتاريخية . وفي حدود هذا التصور المنهجي يتناول رواية " عذراء المنفى " للاستاذ ابراهيم الناصر كشكل أدبي يقل فيه نبض البيئة وتتماهى التجربة الانسانية الخالدة في تداخل الشخصيات الكثيرة المتنوعة التى " تحيل كل شئ الى خاص ، نسبى تاريخى " على حد قول " ادوين ميور " .(٢٢) ومن هنا يقرر الحازمى أن بطل هذه الرواية لا يصلح للقيام ببعض الأدوار لأنه لا يمثل الصراع النفسي الذى يريده الحدث فى مثل هذه المساحة.(٢٣) ومن ثم يثير ملاحظات جادة على الدلالات اللغوية المباشرة وتعلقها بالحوار والواقع المتمثل فى الزمان والمكان.(٢٤) وبذلك يكشف الحازمى عن حاسته النقدية التى ترجمها الى نوع من الرؤية التجريبية لممارسة التقنيات النقدية فى أوضح صورها وذلك لامتلاكه الأدوات المعرفية التى تكشف عن المدارات والرؤى المتجددة فى ثنايا النصوص الأدبية. ويتجلى ذلك فى احتفائه بلغة القصة القصيرة عند جيل الشباب الذين اقتربت لغتهم من لغة الشعر واصبحوا يرون العالم الخارجى من خلال تأملاتهم واحلامهم وأفكارهم فأخذوا مسارا يختلف عن اسلافهم من الواقعيين الذين اهتموا

بالبيئة والواقع الحسى والمشاكل الإجتماعية اهتماما مباشرا ويتناول الحازمى هذه القضية بشئ من الدراية والعمق فيخترق الدوائر المغلقة فى نفسيات جيل الشباب الذى يفيض بالتوتر النفسى واللحظات الشعورية المتشابهة فكأنها " وسيلة للتعبير والصراخ والاحتجاج على كل شئ ".(٢٥)

ويقارن الحازمى فى هذا المجال بين الغربة المادية – كما عبر عنها – عند الجيل السابق – مثل غربة المدينة وغربة البدوى الجاهل أو القروى وبين الغربة الفكرية عند جيل الشباب التى تحفل بالصور القاتمة الحزينة والعزلة والغموض.(٢٦)

وفى تقديرى أن ما اورده الحازمى فى هذه المقارنه بين جيل الشباب وجيل اسلافهم على حد تعبيره يعد معالجة نقدية رائعة نجدها تختفى في بعض دراساته واطروحاته سواء في هذا البحث أو غيره ويختم حديثه فى هذا المجال بقوله : " فإن قصة الجيل الجديد قد اثبتت رغم طفولتها – زمينا – قدرتها

على شق طريقها وفرض وجودها كفن ادبى متميز – ولكنه مزيج من مذاهب شتى تختلط فيه الرمزية بتيار اللاوعى والسريالية واللامعقول – وهى على الرغم من غموضها وعزلتها وتشاؤمها فقد استطاعت – بعض نماذجها الجيدة – أن تفتح آفاقا جديدة للقصة المحلية لا عهد لها بها . "(٢٧)

وكنت أتمنى لو أن الحازمى لم يحشد هذا الجمع الغفير من القصص ومسارها التاريخي المتتابع وأن يلجأ الى اسلوب التحليل والقراءة التى نجدها في بعض المحطات من هذا الكتاب فهو قدير على ذلك ولكن كثرة القصص وملاحقة الأفكار أوقعته في هذا المنهج الذى أضاع علينا فيه فرصة الابداع النقدى والقراءة الائتلافية الكاشفة التى تنبثق من خلال النص والاحتفاء به فحينما تحدث عن القصة القصيرة في الفصل الأخير من هذا البحث نراه في محطات كثيرة مشعة يكشف عن هذه القدرة القرائية والاسقاطات النقدية التى تجسد الخصائص الفنية لعناصر العمل الأدبى من حيث التكوين والبناء وربط الأحداث والأشخاص بالموجودات والكائنات

والوقوف على الفضاءات المشرقة والمعتمة من الأغوار العميقة للنفس البشرية.(٢٨)

وفى اطار انشغال الحازمى بالقصة السعودية ومراحل تطورها تقدم ببحث فى هذا المجال الى الملتقى الأدبى للقصة في دول مجلس التعاون الذى انعقد بالكويت عام ١٩٨٩م (٢٩) القى فيه الضوء على انماط مختلفة من التجارب القصصية السعودية مستجمعا قواه في المكونات الأولى من هذا البحث للحديث عن الواقعية كمحاولة استشرافية لنمو هذا الاتجاه ومنتهيا الى " أن الرائد الحقيقى للقصة الواقعية – فى تقديره – ليس البوقرى ولا الناصر بل المرحوم الشيخ أحمد السباعى الذى ولد بمكة المكرمة في أواخر العهد العثمانى سنة ١٣٢٣هـ. ... حقا ان السباعي لم يكتب القصة بمواصفاتها الكلاسيكية الصارمة عند موباسان وتيمور، ولكنه كتبها بروح الفنان الذى يستوحى فنه من الحارة القديمة ومن الحياة الشعبية البسيطة ، وواقعيته لا يبحث عنها فى حدود قصة بعينها لها عالمها الخاص وصدقها الفنى – ما عدا قصته ((خالتي

كدرجان)) - بل يبحث عنها مبثوثة في قصص وحكايات متفرقة ".(٣٠)

ويلاحظ في منهج الحازمى في هذا البحث أنه اقام مشروعه النقدى الاستنتاجى على التحولات والمتغيرات التى أثرت فى مسار القصة القصيرة السعودية مستبطنا البعد الرمزى والتعبيرى في معالجة بعض الأمثلة المضمرة التى كونت الامتداد المضمونى لنسيج الخصائص النوعية للقصة السعودية .(٣١) ولكن نظرا لاحتشاد الأمثلة والاسماء واتساع مساحة الموضوع المطروح يقف منصور الحازمى على بوابة المنحنى المنهجى في محاولة للتخلص من هذه الورطة بالحاحه بأن هذه الملاحظات تصلح أن تكون " منطلقا لبحث جديد عن العلاقة الجدلية بين القصة الجديدة وبين الواقع المحلى ". (٣٢)

ومن الملفت للنظر بحق أن هناك ملاحظتين على منهج الحازمى النقدى فى دراساته وابحاثه من السهل التنبه اليهما وادراكهما:

الأولى : انه يكرر كثيرا مما قاله خصوصا اثناء حديثه عن القصة والرواية فى السعودية ومراحل تطورهما واذا كان ثمة مبرر لهذا التكرار فهو ضيق مساحة الحركة الأدبية فى السعودية فى بداياتها مما جعل الحديث محصورا فى اشخاص معينين وضمن مساق فنى معين .

الملاحظة الثانية : تذبذب الحازمى فى بعض اقواله النقدية وتداخل آرائه فمرة يصف القاص محمد علوان بانه ذاتى يشعر بالغربة والملل ومرة أخرى يصفه بانه واقعي مستشهدا بحديث يحى حقى عنه .(٣٣) وفى مكان آخر قال انه ينتمى الى المدرسة السريالية.(٣٤) ويبدو أن الحازمى احتار فى - اتجاهات جيل الشباب الفنية - التى تداخلت مدراسها وامتزجت تياراتها حتى انه قال بكل وضوح : " فان قصة الجيل الجديد ..... مزيج من مذاهب شتى تختلط فيه الرمزية بتيار اللاوعى والسريالية واللامعقول ".(٣٥) ولكن فى الواقع من السهل تفسير هذا الاضطراب والتداخل وهو أن بعض هذه التجارب لازالت فى اول الطريق ولسنا معنيين برصد قلقها

ومسيرة اكتمالها وانما يعنى الباحث بالتجارب الفنية الناضجة التى تشكلت بنيتها وتحددت ابعادها من حيث البناء واللغة والرؤية.

ويحتفى منصور الحازمى بحركات التجديد فى الأدب السعودى الحديث منطلقا بها من الاستاذ محمد حسن عواد فى مقارنة تواشجيه بينه وبين العقاد في مصر (٣٦) لما بينهما من قرابة فكرية وتوافق ذهنى ولاحساس كل منهما بدور الريادة والتحديث مع الفارق الواضح بين المجتمعين الحجازى والمصرى في ذلك الوقت من حيث الوعى والثقافة والحضارة " لذا كانت مهمة العواد مهمة مزدوجة مهمة المصلح الاجتماعى من جهة ومهمة الناقد الأدبى من جهة أخرى وَربما تغلبت المهمة الأولى على الثانية لأنها الأساس لأي دعوة للتغيير والتطور"(٣٧) على حد قول الحازمى . ويشير الى مجمل التنبوءات والارهاصات التى نهض بها العواد وخاصة في كتابه الشهير ((خواطر مصرحة)) فبين أن " أهم ما جاء به الكتاب هو تلك الدعوة الصريحة الى الحرية والانتفاح .

والجرأة الشديدة فى مهاجمة الانغلاق والجمود سواء على مستوى الأدب والفكر أو على مستوى العادات والتقاليد ".(٣٨)

ويضرب مثالا بتحمس العواد للقصيدة الحداثية الجديدة التى ظهرت فى السعودية فى السبعينات ((ولم تجد من يعترف بها أو يجيرها سوى القلة القليلة التى كان على رأسها العواد . لذا فقد بكى الحداثيون أباهم الروحى حين وفاته بكاء مرا واعتبروه رائدهم الحقيقي رغم فروق السن واختلاف قصيدته)). (٣٩)

ومن بين احشاء العواد يستجمع الحازمى طاقاته ويستنفر قواه للحديث عن حركة الحداثة واسباب ظهورها فى أوربا وكيف انتقلت الى الخليج ومن هم دعاتها والذين هاجموها لتحط به الرحال عند اصدقائه من الأكاديميين الحداثيين الذين يتزعمهم الدكتور عبدالله الغذامي بكتابه ((الخطيئة والتكفير)) فوقف عند بناء السياج النظرى المحكم الذى يحمي المبدعين من سهام المتطفلين على النقد والأدب. ومن ثم تحدث عن سعد

البـــازعى وســـعيد الســـريحي واطروحاتهمـــا فـــى الثقافـــة والأدب.(٤٠) ومما يلاحظ على تناول الحازمى فى هذا المجال أنه مأخوذ بسلطانه ومفتون بذاته يصفف الأوراق المتعددة دون أن ينتهك ستارها أو يكشف حجبها مما يؤدى الى تفوق المنهـج التاريخي الرصدى على القـراءات النقديـة المتعمقـة التـى تلـوذ بخبايا الظواهر الفنية وتقف عند تخوم تلاوين الرؤى المتحركـة اتجاه النصوص لتحليلها وربطها بالافراز الثقـافى والحضـارى لهذه الأمة.

ولعـل الحـازمى يـأبى المجازفـات وعشـق المغـامرات الاستكشافية التى تبحث اغوار النصوص ومتاهاتها وتسافر فـى رموزها وايماءاتها. علما بأنه يحمل ذوقا رفيعا استطاعَ بـه أن يتحدث عن التجربـة الشـعرية التـى تتحقق من خـلال انسـانية الشـاعر فقـارن بيـن قصيدة المتنبـى التـى يصـف فيهـا قلعـة ((الحدث)) وقصيدة أخرى لشاعر محـــدث يصـف معركـة ((الكرامة)) مبينا أن التجربة الفنية الصادقة هـى التـى ترفـد النص بالروعة والجمال ووضح أن قصيدة المتنبى استمـــدت

جمالها من خلال الصورة المعبرة وتجسيد الحركة وايحاء التراكيب مشيرا الى " أن الشعر لا يصور الواقع كما هو بل يعبر عن تفاعل الشاعر مع هذا الواقع " .(٤١) وفى كثير من الأحيان يستشعر الحازمى موقعه الريادى ومسؤوليته تجاه الشباب وأدبهم والأخذ بخطاهم الى رحاب أوسع وفضاءات ارحب لما لهم من أهمية فى ممارسة حضورهم وشرط وجودهم لسلامة استمرارية الوعى والادراك لفكر الأمة وثقافتها " فالأديب الناشئ كالنبته النحيلة لابد لها من سند قوى ترتكز عليه ويحميها من السقوط ابان نموها حتى اذا ما قوى جذرها وصلب عودها استطاعت أن تنهض بنفسها وتستقل".(٤٢)

وعندما تحدث عن أدب المرأة اراد أن يفلت من ثقل الرأى ولحظة المكاشفة التى قد توقعه فى حرج مع الجنس العطوف على حد تعبير الأستاذ العواد فتوارى خلف آراء السباعى والأنصارى والعواد وأحمد جمال (٤٣) بيد أنه لم يستمر طويلا حتى واجه هذا الرأى برأى تطلعى جميل كسر

به طوق هذه المداراة ليعلن في مقال آخر أنه ليس هنـاك فـرق بين المرأة والرجل فى الأثـر الأدبـى وأن النـص فـى حـد ذاتـه يـأتي خالصـا مـن الذكـورة والأنوثــة . يقـول : " ان النظــرة الموضوعية والواقعية الى المرأة تجعلنا أكثر صدقا فـى الحكم على مـا تنتجه من شعر وأدب . والنقد لا يعترف عادة بالتمييز بين الذكورة والأنوثة فى تقويم العمل الأدبى ، ذلك لأن وظيفـة النقد الأساسية هى شرح النـص وتحليلـه وتفسيره واستخلاص العناصر الجمالية فيه دون الالتفات الى قائله ".(٤٤)

ومما يلفت الانتباه أن الحـازمى يتمتـع بخاصيـة مميزة تطغى على عوالمه المتداخلة وتحتل موضعا بـارزا فـى رؤيتـه الـى الحيـاة ونظرتـه الـى الوجـود الفنـي والفكـري وتتمثـل فـي شخصيته الساخرة وروحـه المنبسطة التـى منحتـه ثقـة مطلقـة ومقدرة فائقـة للتعبير عمـا يريـد دون التصريـح المباشـر بمــا يختلج فى ذاته " حتى يبتسم القارئ أو يضحك كما فـى مقالتيـه (قلق افرنجى) أو (مراجعة مع الومضـات) إلا أنـه لا يخـرج عن الموضوعية ومنهجيته القائمة على جمع الحقـائق وتصنيفها

وتفسيرها واتخاذ موقف منها دون تردد " (٤٥) . ويبدو أن الحازمى استطاع أن يترجم هذه الخاصية فى طرح افكاره وآرائه ولذعاته النقدية الهادفة كما فعل الجاحظ وابن شهيد والبشرى وغيرهم (٤٦) ، فعلى سبيل المثال نراه يتهكم بصورة فاضحة من تلك الشخصية المندسة بين أرباب الفكر والنقد والأدب والتى تعيش على الزيف والخداع فيطلق على هذه الشخصية " ناقد شنطة " ولتجسيد روح الحازمى الساخرة المتهكمة انقل النص الذى مارس فيه لعبة اللغة بطريقة فنية رائعة يقول : ((وكيف تستطيع " شنطته " الصغيرة أن تحتوى – دون أن يصيبها فتق أو انفجار مروع – جميع فلسفات ارسطو ، وبيكون ، وكانت ، وهيجل ، وبيرجسون ، وسارتر ..... الخ ، الى جانب أعمال الكلاسيكيين ، والرومانسيين والواقعيين والبرناسيين والرمزيين والداديين والتكعيبيين والعبثيين .. الخ الخ ؟؟ وقد تدهش أيضا فى سرعة اتصاله بجميع الحركات والمذاهب الجديدة فى أوروبا وأمريكا. فهو يأتيك كل يوم جديد ، ويزودك بالنادر

والطريف. والأعجب من هذا كله أنه رجل لا يتقن لغة أجنبية واحدة)). (٤٧)

ويتناغم هذا الجانب الساخر مع التركيب النفسي لشخصية الحازمى الانسان ذو الاريحية الدمثة والسجايا المرحة التى بوءاته مكانة خاصة وموقعا مميزا فى نفوس زملائه وطلابه واصدقائه وعشاق أدبه وفكره .

نصل بعد هذا كله الى الجرأة بالقول بأن الحازمي فيض من المعرفة والثقافة والادراك الواعى وكتلة من العطاء الفكرى المتدفق الذى اباح له أن يشرق ويغرب فى ميادين البحث والدراسة.(٤٨)

وفي تقديري أن الإلمام بشعث أفكار الحازمى وآرائه يحتاج إلى دراسات وأبحاث أخرى لم يسمح بها الوقت فى مثل هذه الدراسة المركزة التى سعيت فيها إلى استقصاء بعض

القضايا المطروحة فى كتبه ومقالاته لتأكيد النتائج التى تكشف اللثام عن مناطق زاخرة بالحياة فى تجربة الحازمى النقدية.

د. عبدالله بن سالم المعطاني
استاذ مشارك بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الانسانية
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

الهوامش

١- احمد كمال زكى - شعراء السعودية المعاصرون - ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢- رسالة دكتوراه قدمت لمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن - يوليه ١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ وعنوانها بالانجليزية

The Modern Arabic Historical Novel

٣- منصور الحازمى - محمد فريد ابوحديد - ط ١ ، الرياض ، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

٤- المصدر السابق ص ٧٧ ، ٨٥ - ٨٦

٥- المصدر السابق ص ٥٤

٦- المصدر السابق ص ٥٣

٧- المصدر السابق ص ٣٩

٨- المصدر السابق ص ٤١

٩- المصدر السابق ص ٤٢

١٠- المصدر السابق ص ٩٤

١١- المصدر السابق ص ٩٦

١٢ - المصدر السابق ص ٩٤

١٣- المصدر السابق ص ١٠٢

١٤- المصدر السابق ص ٧

١٥- منصور الحازمى - فن القصة في الأدب السعودي الحديث - ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٧

١٦- المصدر السابق ص ١١ - ٣٢

١٧- المصدر السابق ص ٢٠

١٨- المصدر السابق ص ٥٥ - ٥٦

١٩- المصدر السابق ص ٦٦

٢٠- المصدر السابق ص ٦٦ - ٦٧

٢١- منصور الحازمى - في البحث عن الواقع - ط ١ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م ، ص ١٣

٢٢- - بناء الرواية - ترجمة ابراهيم الصيرفى ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ، ص ١١٥

٢٣- فن القصة ص ٧٦

٢٤- المصدر السابق ص ٧٧ - ٨٠

٢٥- المصدر السابق ص ١٢٧ - ١٢٩

٢٦- المصدر السابق ص ١٢٨

٢٧- المصدر السابق ص ١٣٠ وأنظر: منصور الحازمى - لمحات من أدبنا السعودي المعاصر - محاضرة القيت بجامعة الملك سعود بمناسبة الحفل الثاني لجائزة الدولة التقديرية في الأدب لعام ١٤٠٤هـ ، ص ٢٩

٢٨- انظر فن القصة ص ٨٥ - ١٣٠

٢٩- منصور الحازمى - اضواء على تطور القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية - بحث القى في الملتقى الأدبى للقصة القصيرة فى دول مجلس التعاون الذى انعقد بالكويت ١٦ - ١٨/١/١٩٨٩م ، ثم نشر هذا البحث بمجلة البيان الكويتية العدد ٢٧٧

إبريل /نيسان ١٩٨٩م شعبان ١٤٠٩هـ ص ١٨٠ - ٢٠٤

٣٠- المصدر السابق ص ٦ - ٧

٣١- المصدر السابق ص ١٥

٣٢- المصدر السابق ص ٢٢

٣٣- فن القصة ص ١٢٨ - ١٢٩

٣٤- اضواء على تطور القصة القصيرة ص ١٨

٣٥- فن القصة ص ١٣٠

٣٦- منصور الحازمى - حركات التجديد في الأدب السعودي الحديث - محاضرة القيت بالمركز الاعلامي السعودي بلندن ، اغسطس ١٩٩٣م ص ٦- ٧

٣٧- المصدر السابق ص ٧

٣٨- المصدر السابق ص ١٠

٣٩- المصدر السابق ص ١٤

٤٠- المصدر السابق ص ٢٧ - ٣٩

٤١- المصدر السابق ص ٢٠ - ٢٢

٤٢- المصدر السابق ص ١٤

٤٣- المصدر السابق ص ٢٩ - ٤٢

٤٤- المصدر السابق ص ٤٨

٤٥- انظر جريدة الرياض السعودية العدد ٦٠٢٩ تاريخ ١٤٠٥/٤/٣هـ. الموافق ١٩٨٤/١٢/١٥م ، مقال (في البحث عن الواقع) للدكتور نذير العظمة.

٤٦- لقد تعرف الدكتور عزت خطاب الى جانب السخرية عند الحازمى وقارنه ببعض أدباء أوروبا وذلك من خلال مقاله الذى نشر في جريدة الرياض السعودية العدد (٥٤٣١) وتاريخ ١٤٠٣/٧/١٦هـ. الموافق ١٩٨٣/٤/٢٩م. بعنوان (الحازمى والملحمة الساخرة).

٤٧- منصور الحازمى - مواقف نقدية - ط ١ ، دار الصافى للثقافة والنشر، الرياض ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م ، ص ٤٣٣

٤٨- لقد اشار كل من الدكاترة شكرى عياد وأحمد كمال زكى وسمير سرحان الى مكانة الحازمى النقدية وذلك

من خلال بعض المقالات التي كتبوها في الصحف السعودية فناقشوا بعض أبحاثه الأكاديمية ومقالاته العلمية مشيرين الى أهمية الدراسات التى قدمها الحازمى خاصة في الرواية والقصة السعودية مما يدل على أهمية دراسة الحازمى كأحد المساهمين في سجل الحركة الثقافية الحديثة في وطننا العربي الكبير. راجع جريدة الرياض السعودية العدد الأسبوعي رقم (٥٦٣٣) تاريخ ١٤٠٤/٢/٢١هـ الموافق ١٩٨٣/١١/٢٥م وعدد رقم (٥٣٩٠) تاريخ ١٤٠٣/٦/١١هـ. الموافق ١٩٨٣/٣/٢٥م ، وجريدة عكاظ السعودية ، الخميس ١٣٩٥/١١/١٧هـ.